# العلاقات السياسية بين الدولة النصرية والمماليك من خلال بعض المراسلات

د/ بالأعرج عبد الرحمن– قسم التاريخ – جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان
dr.bellaredj@gmail.com

**–الملخص:**

يتعرض المقال للعلاقات السياسية بين الدولتين النصرية في الأندلس ودولة المماليك في مصر والشام خلال الفترة الممتدة بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / 13–15م، من خلال المراسلات الدبلوماسية التي كان يتبادلها سلاطين الدولتين في ظل التكالب الصليبي على ما تبقى للمسلمين بأرض الأندلس، ونسعى من خلاله إلى توضيح بعض الأمور المتعلقة بطبيعة هذه العلاقات، وحقيقة اهتمام المماليك بأمر المسلمين بالأندلس، وجهودهم لإنقاذ الأراضي الإسلامية في الجزء الغربي من الحوض المتوسط.

**الكلمات المفتاحية:** بنو نصر، المماليك، الأندلس، الدبلوماسية، المعاهدات.

**–Abstract** :

The article presents political relations between the tow contries Nasrid in Andalus and Mamluks in Egypt during the 13-15 AD through diplomatic correspondence exchanged between the sultans, and the fact that the attention of the Mamluks for muslims in Andalus, and their efforts to save the islamic lands in the western mediterranean.

**-المقدمة**

إن الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها الأندلس خلال القرن 7هـ/13م وإلى غاية سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م كان لها الصدى الواسع في أقطار العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وكانت أخبار حركة الاسترداد التي قادها النصارى ضد المدن الإسلامية تصل أصداؤها إلى سلاطين المماليك الذين كان لزاما عليهم نصرة مسلمي الأندلس بكل الوسائل العسكرية والدبلوماسية تلبية لنداء رابطة الدين الإسلامي ورد الخطر المشترك.

وقد اهتم ملوك بني نصر بالمراسلات مع المماليك وإخبارهم بتطورات الأوضاع المزرية التي كان يعيشها مسلمو الأندلس.

وكان المماليك يعتبرون أنفسهم المدافعين عن حقوق المسلمين في العالم الإسلامي، لأن بلدهم هي مقر الخلافة الإسلامية، وكانوا في مراسلاتهم حريصين على إظهار مسألة زعامتهم للعالم الإسلامي، وكان السلطان منهم يلقب في المراسلات بسلطان الديار المصرية والبلاد الساحلية والبلاد الشامية والبلاد الحلبية، وبلاد قلعة المسلمين الأشرفية، سلطان الملوك، ملك الشرق بأسره، سلطان النوبة، بلاد ملك داوود سلطان بيت المقدس، خادم الحرمين.

ويتضح حرص المماليك على حماية مسلمي الأندلس من خلال المراسلات التي كانت توجه من القاهرة إلى الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الإيبيرية، مع مراعاتهم للحفاظ على المصالح السياسية والاقتصادية التي كانت تربطهم بالملوك الإسبان، وفي هذا الصدد تسجل لنا المصادر والوثائق الكثير من المراسلات التي تتضمن هذا الموضوع.

**- موقف المماليك مصر من تصاعد المد النصراني في شبه الجزيرة الإيبيرية**

عمل المماليك على الاحتفاظ بعلاقاتهم مع الدول النصرانية في الأندلس رغم حربهم الشرسة ضد المسلمين، وذلك ما نستشفه من المراسلة التي تمت بين السلطان المملوكي الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون(689-693هـ/1290-1293م) وملك أرغون خايمي الثاني[1].

وكان موضوع الرسالة الأساسي هو عقد الهدنة والمصالحة بين دولة المماليك البحرية وبين الممالك النصرانية بجنوب غرب أوروبا، وجاء فيها:" **استقرت المودة والمصادقة بين الملك الأشرف وبين حضرة الملك الجليل المكرم الخطير الباسل الأسد الضرغام المفخم المبجل دون حاكم الريد أرغون وأخويه دون ولذريق ودون بيدرو، وبين صهريه الذين طلب الرسولان الواصلان إلى الأبواب الشريفة عن مرسلهما الملك دون حاكم يكونا داخلين في الهدنة والمصادقة، وأن يلتزم الملك دون حاكم عنهما بكل ما التزم به عن نفسه ويتدرك أمرهما، وهما الملك...دون شانجه ملك قشتالة وطليطلة وليون وبلنسة وأشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والغرب، الكفيل بمملكة أرغون وبرتقال، والملك دون أنفونش ملك برتقال من تاريخ يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين وستمائة...**"[2].

وتواصل الرسالة عرض وتفصيل بنود اتفاقية هذه الهدنة وهي أن تكون غير محدودة بزمان معين ولا بنطاق جغرافي محدد، بل تكون شاملة ومفتوحة في الزمان والمكان: " **استقرار المودة والمصادقة من التاريخ المقدم ذكره على مر السنين والأعوام وتعاقب الليالي والأيام برا وبحرا سهلا ووعرا قربا وبعدا**"[3].

وضمت بنود الهدنة والمصادقة على أن لا يتعرض المماليك للبلاد النصرانية، وألا يتعرض الأرغونيون وحلفاؤهم للبلاد التي هي تحت الحكم المملوكي والتي جاءت الرسالة بذكرها على وجه التفصيل[4].

و نلمس من الرسالة اعتراف الملك الأشرف بممالك النصارى في الأندلس، وكذلك سعيه لعقد حلف عسكري معهم ضد القوى والممالك الأوروبية الأخرى حيث يقول:" **وعلى أن الملك دون حاكم هو وأخواه وصهراه أصدقاء من يصادق الملك الأشرف وأولاده، وأعداء من يعاديهم من سائر الملوك الفرنجية**"[5].

كما تضمنت المعاهدة بنودا متعلقة بالدفاع المشترك وحرية التجارة بين إسبانيا وبلاد المماليك، وحرية زيارة القدس بالنسبة للنصارى الإسبان[6].

والغريب في الأمر أنها لم تتضمن ولا بندا متعلقا بالمسلمين في الأندلس وما كانوا يتعرضون إليه من اضطهاد، وركز الملك الأشرف على أن تكون هذه المعاهدة أبدية ودائمة وختم الرسالة بقوله:" **تستمر هذه المودة والمصادقة على حكم هذه الشروط المشروحة أعلاه بين الجهات على الدوام والاستمرار، وتجري أحكامها وقواعدها على أجمل الاستقرار، فإن الممالك بها قد صارت مملكة واحدة وشيئا واحدا لا تنتقض بموت أحد من الجانبين، ولا بعزل وال وتولية غيره، بل تؤبد أحكامها، وتدوم أيامها وشهورها وأعوامها...**"[7].

إن التفسير الذي يمكن أن نقدمه لموقف الملك الأشرف من الممالك النصرانية هو أنه كان يرمي إلى تحقيق مصالحه الإقليمية والدولية، ففي حين كان مسلمو الأندلس في محنة كبيرة بسبب حركة الاسترداد التي قادتها كل من مملكة أرغون وقشتالة، كان المماليك يسعون إلى المهادنة، ربما لكسب الوقت أو لصرف انتباه النصارى في جنوب غرب أوروبا عن نصرة نصارى المشرق، وكذلك للتفرغ من أجل رد الأخطار التي كانت تهدد الدولة المملوكية من الشمال والشرق.

والنقطة الثانية التي تطرح نفسها هي مدى إحاطة ملوك المغرب الإسلامي خاصة بني مرين الذين كانت علاقاتهم جيدة مع المماليك بخبر هذه المعاهدات التي لم تكن في صالح العالم الإسلامي، ربما إلا فيما يخص حرية التجارة والملاحة وحرية زيارة البقاع

المقدسة لدى المسيحيين في المشرق، ولما كان المرينيون هم المسؤولين عن الجهاد في الأندلس فإنهم كانوا في حاجة إلى الدعم المادي والمعنوي من طرف المماليك حتى يتقووا بهم ضد النصارى المتحالفين، لكن ذلك ما لم يكن إلا في المكاتبات الرسمية لا غير.

ويمكن القول أنه في ظل الجهاد المستمر للمرينيين والنصريين من أجل الحفاظ على ما تبقى للمسلمين من أراض في الأندلس كان الملك الأشرف يسعى لتحقيق هدنة طويلة الأمد مع النصارى.

وقد استمرت هذه المهادنات والمعاهدات على هذه الوتيرة بين المماليك والأرغونيين والقشتاليين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم المدافعين عن النصارى في بلاد المشرق، وفي عهد الملك الناصر المملوكي نشطت المراسلات بين الطرفين وكانت معظم الرسائل بخصوص الكنائس النصرانية بمصر وحرية التجارة بين البلدين[8]، وفي سنة 723هـ/1323م بعث برسالة إلى ملك أرغون طرح فيها بجدية مسألة المسلمين الأندلسيين الذين كانوا تحت السيادة الأرغونية، فقد كانوا يحرمون من إقامة الآذان والصلاة في المساجد عكس نصارى مصر الذين كانوا يتمتعون بحرية أداء الشعائر الدينية، وجاء في الرسالة المملوكية :" **...ونحن نعرفه أنه بلغنا أن جماعةة المسلمين الذين في بلاده الذين استقروا بها بعدما استقرت عليهم أحوالهم، لهم عوائد متقدمة بالكرامة والرعاية، وعدم المعارضة في المساجد المستقرين بها، وأنهم الآن ربما تغيرت عوائدهم في ذلك وصاروا لا يتمكنون من التأذين في مساجدهم، وإقامة الصلاة بها**"[9]. وتواصل الرسالة أن هدف الملك الناصر المملوكي هو أن يحترم المسلمون في بلاد الأندلس وأن يسمح لهم بأداء الشعائر الدينية في المساجد حيث يقول:" **والمراد من محبته الصادقة أن يتقدم بالوصية التامة بجميع من في بلاده من المسلمين وإجرائهم على أجمل عوائدهم، وأكمل قواعدهم، ولا يغير عليهم مغير في مساجدهم، والإعلان بصلاتهم، وكف الضرر عنهم ورعاية جانبهم**"[10].

وختمت الرسالة بتذكير الملك الأرغوني بأن سلطان المماليك هو الحامي للديار الإسلامية والمسؤول عن كل مسلمي العالم ممن لا يقطنون في البلدان الإسلامية:" **فهو يعلم أننا قد ألقى الله تعالى إلينا مقاليد سائر أهل الإسلام حيث كانوا وأين كانوا، فأي مكان وجد به أحد من المسلمين كانوا متعلقين بنا ويتعين علينا رعايتهم، فيفعل في أمرهم ما يتخذ له أكمل المودة وأجمل الصحبة، وهمته تغني عن التوكيد في ذلك** ..."[11].

ويمكن القول بأن الملك الناصر المملوكي قد حاول قدر الإمكان ممارسة سلطته كحامي للمسلمين في العالم المسيحي بالخصوص، مستغلا في ذلك ظروف القوة التي كانت تعيشها بلاده، كما لا يجب إغفال الدور الهام لبني مرين في المغرب الإسلامي، ما أعطى دعما لموقف الملك الناصر في علاقاته مع النصارى في الأندلس.

وفي خضم هذا الجو سجلت لنا المصادر وجود الكثير من المراسلات الدبلوماسية بين ملوك بني نصر وسلاطين المماليك دارت في عمومها حول أخبار الأندلس أو الاستنجاد بالمماليك فضلا عن وجود مراسلات أخرى من ملوك غرناطة إلى الحرمين الشريفين وعرفت بالرسائل النبوية، وفيما يلي عرض لمحتوى الرسائل ومن خلالها نتتبع تطور العلاقات الدبلوماسية بين الدولة النصرية والمملوكية.

**– رسالة من السلطان النصري الغني بالله إلى السلطان المملوكي المنصور بمناسبة استرجاع منصبه (شوال – ذو القعدة 763هـ/1362م):**

يعد السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله من أشهر ملوك بني نصر وأقواهم، وقد تولى الحكم على فترتين الأولى من 755-760هـ/1354-1359م[12]، وأعلن ولاءه لملك قشتالة بطرس الأول وعمل على إقامة علاقات ودية مع ملوك

النصارى، كما سعى إلى إرضاء بني مرين بمساعدة وزيره لسان الدين بن الخطيب الذي قدم إلى فاس وتم استقباله بحفاوة[13].

وفي سنة 760هـ/1357م تولى إسماعيل الثاني الحكم بعد عملية انقلابية داخل الأسرة النصرية الحاكمة، واستمر في الحكم إلى غاية سنة 762هـ/ 1361م[14] حيث عاد إلى الحكم للمرة الثانية محمد الخامس وتلقب بالغني بالله واستمر في منصبه إلى غاية سنة 794هـ/1392م، وبهذه المناسبة راسل السلطان المملوكي المنصور قلاوون، حيث أن الغني بالله أراد توطيد العلاقات الودية مع المماليك في الجانب السياسي والاقتصادي[15].

وقد أورد الرسالة كل من لسان الدين بن الخطيب الذي تولى كتابتها عن السلطان النصري في كتابيه ريحانة الكتاب ونفاضة الجراب[16]، والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى[17]، والمقري في كتابه نفح الطيب[18].

وافتتحت الرسالة بذكر الألقاب الملوكية مما اختص به سلاطين المماليك في المكاتبات وتم وصف المنصور ب:" **هازم الفرنج والترك والتطار، الملك المنصور**..."[19]، وهي إشادة بالمماليك الذين بلغوا مرتبة من القوة مكنتهم من مجابهة كل القوى الخارجية التي كانت تهدد العالم الإسلامي في المشرق والمغرب، وقهرهم للمغول والتتار من الشرق وللصليبيين في سواحل الشام ومصر.

وتواصل الرسالة :" **فإنا كتبنا إلى تلك الأبواب الشريفة... من دار ملك الإسلام بالأندلس حمراء غرناطة**"[20]، كما تحدثت عن المؤامرات والدسائس التي جرت داخل البيت النصري وما نتج عنها من انقلابات وخلع للأمير الغني بالله وكيفية لجوئه إلى المغرب لاجئا عند ملوك بني مرين في فاس، والذين اعترف بكرمهم وضيافتهم خاصة السلطان أبي سالم بن أبي الحسن وحسن استقباله :" **وجزنا البحر ... ونزلنا من جناب سلطان بني مرين على المثوى الذي رحب بنا ذرعه ودل**

**على كرم الأصول فرعه، والكريم الذي وهب فأجزل ونزل لنا عن الصهوة وتنزل وخير وحكم...."**[21].

ثم وصفت الرسالة الكيفية التي عاد بها الغني بالله إلى الحكم والظروف الداخلية السياسية والاقتصادية لمملكة غرناطة التي عانت من المجاعة والضغط العسكري من طرف القشتاليين. وختمت الرسالة بعبارات الولاء للمماليك :" **ورأينا أن نطالع علومكم المشرفة بهذا الواقع تسبيبا للمفاتحة المعتمدة، وتمهيدا للموالاة المجددة...."**[22].

وتضيف الرسالة :" **وبلادكم ينبوع الخير وأهله ورواق الإسلام... ونحن نستوهب مظان الإجابة لديكم دعاءا يقوم لدينا مقام المدد ويعدل منه الشيء بالمال والعدد**"[23].

**– جواب السلطان المنصور المملوكي للغني بالله النصري**[24]:

في شهر جمادى الأولى سنة 765هـ/1364م أرسل السلطان المنصور قلاوون رسالة إلى الغني بالله النصري، وجاء فيها :" **وأما غير ذلك فقد وصل رسول الحضرة العلية إلينا، وتمثل بمواقفنا المعظمة، ومحال مملكتنا المكرمة، وأقبلنا عليه، وضاعفنا الإحسان إليه، وأدى إلينا ما تحمله من المشافهة الكريمة، ورسائل المحبة والمودة القديمة، فرسمنا بإجابة قصده... وقضاء شغله الذي حضر فيه**"[25]. والمقصود أن الرسول النصري الذي حمل الرسالة الأندلسية إلى مصر كان يحمل رسالة شفوية تضمنت طلب مبلغ من المال كإعانة لخزينة غرناطة. وقد ذكرت الرسالة المملوكية قيمة الإعانة المملوكية والمقدرة ب 1000 دينار مصرية:" **ومسامحة الحضرة العلية بما يتعين على ما قيمته ألفا دينار مصرية حسب ما عينه رسوله المذكور**"[26]، وهنا يظهر الملك المنصور مدى سخائه مع ملوك الدول الإسلامية في

المغرب إذ يقول في الرسالة:" **ولو كان سألنا أضعاف ذلك لأجبنا سؤاله من غير ترو ولا فتور، وقد جهز إليه صحبته ما أنعمت به صدقاتنا الشريفة عليه من الدرياق ودهن البلسان**"[27]، وهي إشارة إلى تبادل الهدايا بين الملوك، وقد اعتاد المماليك على أن يبعثوا هذه الأشياء مع رسلهم وسفاراتهم إلى ملوك المغرب.

## – موقف بني نصر من حملة الجنويين على الإسكندرية سنة 767 هـ/1366 م:

في ظل الظروف السياسية المتوترة التي كانت تعيشها الأندلس بسبب الهجمات النصرانية المتكررة على المدن والبوادي والثغور الإسلامية، كان الصليبيون في المشرق يسعون إلى بسط نفوذهم على سواحل بلاد الشام ومصر، وفي هذه الظروف جاءت الحملة التي قادها الجنويون الذين سيطروا على جزيرة قبرص منذ 708هـ/1308م واتخذوها منطلقا لحملاتهم ضد السواحل المملوكية، وفي يوم الأربعاء 22 محرم 767هـ استقروا قرب ساحلها ودخلوها يوم الجمعة في النهار بعد أن حرقوا أبوابا منها وقتلوا من أهلها وأسروا الكثير وأخذوا منها الأموال، وأقاموا بها قرابة الأسبوع حتى ليوم الأربعاء الموالي حين قدم إلى المدينة الجيش المملوكي، وانتهت الأزمة بأضرار جسيمة، واتخذ المماليك قرارات خصت النصارى المقيمين في دولتهم، وبدأت الاستعدادات لغزو قبرص كرد فعل على هذه الحادثة[28].

ولما وصل الخبر إلى الملك النصري الغني بالله أمر وزيره لسان الدين بن الخطيب بكتابة رسالة إلى السلطان المملوكي الأشرف شعبان[29] يبين فيها تضامن النصريين مع المماليك في هذه الفاجعة.

افتتحت الرسالة بذكر عبارات التبجيل التي خص بها سلاطين المماليك في المراسلات " **جمال الإسلام، علم الأعلام، فخر الليالي والأيام، ملك البرين والبحرين، إمام الحرمين، مؤمل الأمصار والأقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتتار، الملك المنصور أبي الفتوح شعبان**"، وتواصل بذكر المرسل " **من معظم سلطانه، ومجل شأنه المفتخر بالانتظام في سلك خلصانه، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله، الغالب بالله، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر، بلغه الله من رضاه أقصى سؤل، وأعانه على جهاد عدوه وعدو رسوله.. فإنا كتبناه لمثابتكم السلطانية دار العز الأحمى... بحمراء غرناطة، دار ملك الجهاد بجزيرة ثغر الأندلس، والى الله عنها الدفاع**"، ثم راحت الرسالة تسرد ما بلغ الأندلسيين من أمر الحملة القبرصية الصليبية على مدينة الإسكندرية، وكذلك الفرحة التي عمتهم بعدما تم الانتصار على النصارى وتأديبهم في بلادهم قبرص[30].

**– ازدياد الخطر النصراني على المملكة النصرية والاستنجاد بالمماليك:**

تزايدت هجمات القشتاليين على المدن والحصون النصرية في ظل الانقسام الذي حل بالبيت النصري، فبعد وفاة محمد الخامس الغني بالله في 793هـ/1391م تولى بعده مجموعة من الأمراء أدخلوا الدولة النصرية في الفوضى والصراعات السياسية، وانتهزت قشتالة الفرصة للتسريع في حركة الاسترداد النصرانية، فتارة يعقد ملوكها الصلح مع النصريين لربح الوقت ثم ينقضون العهد ويباشرون غزو الأراضي الأندلسية[31].

وفي ظل هذه الظروف عمل حكام غرناطة على مراسلة سلاطين المماليك من أجل الاستنجاد بهم ضد النصارى، وتسجل المصادر أن الأندلسيين قد راسلوا

السلطان المملوكي الملك الظاهر جقمق[32] سنة 844هـ/1440م يستنجدون به لنصرتهم، كما راسلوا السلطان الملك الظاهر خشقدم سنة 868هـ/1463م، لكن يبدو أن المماليك كانوا في انشغال حقيقي بأمورهم الداخلية والخارجية التي تهدد حدودهم خاصة في ظل تنامي قوة العثمانيين الذين سعوا جاهدين إلى الاستيلاء على الشام ومصر والخلافة فلم يتسنى للمماليك تقديم أي نوع من أنواع المساعدة.

**– استنجاد الأندلسيين بالسلطان الأشرف قايتباي:**

تولى أبو عبد الله الزغل حكم غرناطة عقب أخيه أبي الحسن علي سنة 890هـ/1485م في إمارته الأولى وفي عهده اندلعت فتنة في مدينة غرناطة دامت لمدة سنتين وانقسمت المملكة إلى شطرين[33].

وفي هذه الأثناء حاصر القشتاليون مدينة بلش ودخلوها صلحا وارتحل سكانها إلى غرناطة وبلاد المغرب، كما قاموا بحصار مدينة لوشة في شهر 26 جمادى الأولى سنة 891هـ/ 30 ماي 1486م ورحل سكانها إلى العاصمة النصرية[34]. ثم طوق القشتاليون مدينة مالقة من البحر والبر وتحصن بداخلها الأندلسيون المسلمون، وكان الزغل في وادي آش فاستنجد بملوك عدوة المغرب، كما حل الشيخ **أبو عبد الله محمد بن الأزرق** على السلطان المملوكي يستنجده في شأن إنقاذ الأندلس والذي يقول عنه المقري:"**ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الأندلس ثم ارتحل إلى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الأندلس، فكان كمن يطلبيض الأنوق أو الأبيض العقوق، ثم حج ورجع إلى مصر فجدد الكلام في غرضه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس....**"[35].

ويبدو من كلام المقري أن هذا العالم الجليل قد سعى جهده في دعوة المماليك إلى التدخل في الشأن الأندلسي، لكن رغبته لم يكن تحقيقها لمجموعة من العوامل أهمها البعد الجغرافي بين مصر وغرناطة واشتغال المماليك بالمشاكل السياسية والصراع مع العثمانيين إضافة إلى العلاقات الدبلوماسية التي ربطتهم مع ملوك أوروبا عامة والمصلح التجارية المتبادلة، فلم يكن منهم سوى توجيه سفارات مملوكية إلى الممالك الأوربية يطالب فيها بالكف عن أذية المسلمين والتوقف عن طردهم من ديارهم وإلا سيعامل النصارى المشارقة بنفس الأسلوب، وهو ما اعتاد المماليك القيام به في الكثير من المناسبات، لكن القشتاليين والأراغونيين لم يكترثوا لهذه التهديدات لعلمهم باشتغال المماليك بالأزمات الأكثر قربا من حدودهم[36].

وفي ظل الصمت الوطاسي والحفصي والزياني والعثماني والمملوكي على الأزمة الأندلسية، واصلت قشتالة حركة الاسترداد في الأراضي الإسبانية واحتلت مدينة مالقة بعد حصار دام ثلاثة أشهر أكل فيها المالقيون الجلود وأوراق الأشجار وتعبوا وأصابهم الجوع والمرض فاستسلموا وسمح لهم بالرحيل إلى المغرب سنة 892هـ/1487م[37].

ثم دخل القشتاليون مدينة بسطة صلحا ثم حاصروا مدينة المرية وتم تسليمها في السنة نفسها، وأسرع الزغل إلى الدخول تحت لواء قشتالة ثم تنازل عن كل شيء ودخل إلى المغرب واستقر به المطاف في تلمسان[38].

وبعد سقوط كل المدن النصرية بيد القشتاليين بقيت العاصمة غرناطة التي أرسل الإسبان إلى ملكها أبي عبد الله من أجل تسليمها وبعد الرفض تمت محاصرتها من طرف الملك فرناندو والملكة إيزابيلا وفشلت محاولات الاقتحام إلى غاية شهر المحرم من سنة 897هـ/1491م وما ضاق الحال بأهل المدينة تقرر تسليمها وفق معاهدة تم التوقيع عليها في شهر 25 ديسمبر 1491م وهو يوم عيد الميلاد لدى المسيحيين الكاثوليك، وتم دخول النصارى إليها في شهر يناير سنة 1492م[39].

**–خاتمة:**

إن المتتبع لتاريخ العلاقات بين الدولتين النصرية بالأندلس والمملوكية بمصر والشام طيلة المدة الممتدة بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ 13–15م، يلاحظ مدى اهتمام المماليك بتتبع مجريات الأحداث السياسية والعسكرية في الجانب الغربي للحوض المتوسط، ولما كانت الدولة النصرية هي أضعف حلقات الوجود الإسلامي بالجناح الغربي أمام تصاعد المد النصراني الإسباني، كان لزاما على دولة المماليك الاضطلاع بالدور المنوط بها في حماية المسلمين لكونها تمثل الحلقة الأقوى في عقد الدول الإسلامية، والمتحدث الرسمي باسم المسلمين في المحافل الأوروبية، ورغم الروابط القوية بين الدول الإسلامية خلال العصر الوسيط، إلا أن المصالح الاقتصادية والسياسية والارتباط باتفاقيات دفاع مشترك مع الدول الأوروبية حال دون تقديم المماليك للدعم المناسب واللازم لإنقاذ الوجود الإسلامي بالأندلس وتمديد عمره، وذلك رغم الاستنجادات والاستغاثات التي كان يبعث بها حكام بني نصر إلى البلاط المملوكي، وكان التدخل المملوكي في هذا الشأن يتماشى وسياستها تجاه الدول الأوروبية النصرانية.

**الهوامش:**

[1] – أبو العبّاس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النّشر، القاهرة، 1985، ج14، ص ص75–82.

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص ص75–82، ص76– أحمد عزاوي، **العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط**، مطبعة ربا نت، الرباط، 2011، ج2، ص ص 205–204

[3] – عزاوي، العلاقات، ج2، ص 205

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص 76

[5] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص 76

[6] – عزاوي، العلاقات، ج2، ص ص205–210

[7] – عزاوي، المرجع السابق، ص210.

[8] – أحمد عزاوي، العلاقات، ج2، ص211 وما يليها.

[9] – عزاوي، المرجع السابق، ص287.

[10] – عزاوي، العلاقات، ج2، ص228.

[11] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[12] – لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1987، ص113– 115.

[13] – يوسف شكري فرحات ، **غرناطة في ظل بني الأحمر**، دار الجيل، بيروت، 1983، ص37.

[14] – لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص126.

[15] – يوسف شكري، المرجع السابق، ص41.

[16] – لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص ص 490–501 – نفاضة الجراب، ج3، ص ص 193 – 200.

[17] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص442.

[18] – أبو العباس أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت، 1998، ج1، ص ص 321 – 326.

[19] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص442.

[20] – المقري، نفح الطيب، ج1، ص322.

[21] – المقري، نفح الطيب، ج1، ص324.

[22] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص444.

[23] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص444.

[24] – المصدر نفسه، ص ص 442– 444.

[25] – المصدر نفسه، ص 444.

[26] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[27] – نفسه.

[28] – ابن كثير، البداية والنهاية،تح: جودت محمد، ج14، ص 250–252.

[29] – هو ناصر الدين شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى الحكم 764 هـ إلى غاية 778هـ. ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 239.

[30] – لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج1، ص ص 295–303 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص ص 107–115.

[31] – حول اتفاقيا الصلح بين الدولة النصرية وملوك إسبانيا المسيحيين يمكن الرجوع إلى دراسة أحمد عزاوي، العلاقات، ج3، ص ص 89–136.

[32] – هو السلطان أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلائي الظاهري الرابع والثلاثون من سلاطين المماليك تولى الحكم في 842هـ إلى غاية 857هـ وكان ملكا حكيما وعادلا ومحبا للعلم. ابن تغري بردي، **المنهل الصافي و المستوفى بعد الوافي**، تحقيق: محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب، القاهرة، 1984–1990، ج4، ص ص 275–312 ، **النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، المؤسّسة المصرية العامّة، القاهرة، 1972، ج15، ص ص 256–462 – شمس الدين السخاوي، **الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ طبع ، ج3، ص 71.

[33] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص 519.

[34] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص ص 523 – 529.

[35] – المقري، نفح الطيب ، ج2، ص 702.

[36] – شكري فرحات، المرجع السابق، ص52.

[37] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص ص 523–529.

[38] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص 522.

[39] – المقري، نفح الطيب، ج4، ص 526.